(١)

التعايش السلمي في مصر زمن الأمويين

(٤١ – ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م)

أ.د. يسري أحمد عبد الله زيدان

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

تمهيد:

تأكدت مبادئ الإسلام الأصيلة في التعامل مع المخالفين له في العقيدة من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، والواقع العملي، واستحالت هذه القواعد القيمة أحكاما عادلة، وأخوةً ومساواةً، وبرًا ووفاءً، ولينًا وتسامحًا. وظهر ذلك جليا في مجتمع الخلافة الراشدة، حيث تضافرت الروايات التاريخية علىٰ كشف روح التسامح والتعايش بين المسلمين وغير المسلمين [١]، وهو الأمر الذي لا غنىٰ عنه أبدًا لاستقرار أي مجتمع إنساني، أو أية أمُة في القديم والحديث.

وسار الأمويون- في الأعم الأغلب- علىٰ هذه السياسة الرشيدة في العلاقة مع غير المسلمين، وهو ما قرره أحد المستشرقين الكبار بقوله: «ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام. فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم» [٢].

---

(١) راجع علىٰ سبيل المثال يوحنا النقيوسي: تاريخ مصر ٢١٢ ،٢٢٠ ٢٢١. وراجع أبو عبيد بن سلام: ٥٤، ٢٦٦، ٧٢٩، وأبو يوسف: الخراج صـ ٨٩، ٢٧٨. وراجع: ابن آدم: الخراج صـ ٧٢- ٧٤.

(٢) ديورانت: قصة الحضارة، مجلد ٤ جزء ٢ صـ ١٣٠.

فالأمويون اشتهروا بالحرص علىٰ إرساء أسس التعايش السلمي، والاختلاط والامتزاج بغير المسلمين، الذين عوملوا «باللين بوجه عام» من الأمويين [1].

وهذا البحث يرصد بكل حيادية وموضوعية مظاهر التعايش السلمي بين الدولة الأموية ورعاياها المسلمين من جهة، وبين رعاياها من غير المسلمين من جهة أخرىٰ بمصر خاصة، دون تزييف أو تحريف، أو تحسين للقبيح، أو تقبيح للحسن، وذلك بالاعتماد علىٰ المصادر التاريخية المختلفة.

ولا شك في أنّ من مظاهر وصور وواجبات التعايش السلمي:

الحرية الدينية والعقدية، فلكل ذي عقيدة عقيدته التي لا يجبر علىٰ تركها، ولكل صاحب مذهبٍ مذهبه الذي لا يكره علىٰ مخالفته، ومنها الحق في تولي وظائف الدولة، وحرية العمل والكسب، ومنها حسن علاقة الحكام والولاة والمسلمين عامة بغير المسلمين، ومنها المساواة في الحقوق والواجبات بين الرعية جميعا، مسلمهم وغير مسلمهم، وغير ذلك من أمور تعين علىٰ تقوية أواصر العلاقات بين الناس جميعا، وتدفع إلىٰ حسن التعاون والتآزر، وإقامة الروابط المتينة، والوشائج الطيبة، والمشاركة الفعالة؛ الأمر الذي يورث الأثر الحسن، والمردود الجميل في حياة المجتمعات الإنسانية كافة.

أولا: الحرية الدينية:

التزم الأمويون بمبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية في التعامل مع المخالفين له في العقيدة، فلم يتدخلوا في عقيدة غير المسلمين، ولا في حرية اختيار بطاركتهم ولا في الاحتفال بهذا الاختيار، وسمح الأمويون لغير المسلمين بمصر خاصة بإقامة معابدهم، والوقف عليها، ورعاية حرمة شعائر غير المسلمين، وغير ذلك من تقاليد إسلامية راسخة في التعامل مع غيرهم.

---

(١) ديورانت: السابق، ص ١٣١.

أ- حرية اختيار البطاركة ومكانتهم:

سمح الأمويون لغير المسلمين بحرية اختيار بطاركتهم وجميع رجال دينهم، وممارسة مهامهم الدينية بإرادة تامة، بل وبأداء بعض الأدوار السياسية التي نيطت بهم، ورأوا ضرورة الإسهام فيها:

ويُعد البطريرك أغاتون (٤١- ٥٨هـ/ ٦٦١- ٦٧٧م) أول من تولىٰ كرسي البطركية بالإسكندرية بعد وفاة البطريرك بنيامين سنة تسع وثلاثين للهجرة، وقد وصف هذا البطريرك بالاهتمام بالضعفاء [١]. وبخاصة في فترة الغلاء التي استمرت ثلاث سنوات «وكان البطريرك يهتم بالضعفاء، ويعطيهم ما يحتاجونه، وكان كثير الرحمة والصدقة» [٢]. ومما يدل علىٰ الحرية الكاملة التي تمتع بها هذا البطريرك أنه كان يشتري بعض أسرىٰ الروم ممن أسرهم المسلمون برودس التي فتحوها سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م علىٰ يد جنادة بن أمية [٣]، وأقاموا بها سبع سنين قبل العودة إلىٰ بلادهم في خلافة يزيد بن معاوية [٤]. فالبطريرك كان يشتري بعض الأسرىٰ من ماله، ويعتقهم [٥]. وقد بنىٰ هذا البطريرك كنيسة مرقص بالإسكندرية في مدة ثلاث سنين [٦]، بالإضافة إلىٰ بناء العديد من القلالي بمعونة أتباعه من المسيحيين [٧].

---

(١) المقريزي: الخطط جـ٢، صـ٤٩١.

(٢) ابن العميد: تاريخ المسلمين صـ١٣٦.

(٣) راجع ترجمته عند الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٦٢- ٦٣.

(٤) راجع ابن الجوزي: المنتظم ٥/ ٢٥٥. وابن الأثير: الكامل ٣/ ٤٩٣. وابن كثير: البداية والنهاية مجلد ٤ جـ٧ صـ٥٥٣. وراجع البلاذري: فتوح البلدان ٢٣٧.

(٥) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٨- ٩. وهناك ذكر حزن البطريرك علىٰ ما قام به المسلمون من فتوحات، وما وقع في أيديهم من أسرىٰ الروم.

(٦) راجع ساويرس ابن المقفع: السابق ١٢، وابن العميد: السابق ١٣٦. والمقريزي: السابق ٢/ ٤٩١.

(٧) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٢.

ولم يتضرر البطريرك أغاتون إلاّ من تاوضرس الملكاني الذي جعله يزيد بن معاوية (٦٠- ٦٤هـ/ ٦٧٦- ٦٨٣م) علىٰ الإسكندرية، وكان يأخذ الجزية، وبعض ما يلزم الأسطول في مصر من مال وتجهيزات، فكره البطريرك اليعقوبي أغاتون لكثرة مطالبه المالية- في نظره- وفضل الاختفاء (أيام ذلك الملك المنافق) الذي مات بعد وفاة البطريرك أغاتون بفترة يسيرة[١].

ومما حدث في أيام البطريرك أغاتون أيضًا: استعانة والي مصر لمعاوية ويزيد مسلمة ابن مُخَلد (ت ٦٢هـ/ ٦٨١م) بسبعة من الأساقفة للقضاء علىٰ خلافات ناشبة بسخا[٢]، واجتمعوا هناك بوالي سخا، وبمسيحي اسمه «إسحاق» مشرفٍ علىٰ بعض الكور[٣].

ويلاحظ- مما سبق- أن حاكم الإسكندرية والبحيرة المسيحي تاوضرس الملكاني ليزيد بن معاوية كان له استقلاله بالولاية والحكم، وله دوره الفعّال «ولا يكون لمتولي مصر عليه حكم»[٤] ويلاحظ اهتمام والي مصر بكشف الخلافات الناشبة بين بعض مسيحي سخا وحاكمها، وحفظ حقوقهم، ورفع المعاناة عنهم.

وقد خلف الأب القديس أغاتون البطريرك يوحنا، باختيار البطريرك أغاتون نفسه، الذي اختاره للولاية من بعده، فولىٰ البطركية من سنة ٥٨/ ٦٧٧م حتىٰ سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م[٥]. أي خلافة يزيد، وحتىٰ سنتين من خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-

---

(١) راجع ساويرس ابن المقفع: السابق ٩- ١١، ١٩، ٢١.

(٢) عن سخا راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ١٩٦ وهي من أعمال الغربية. وراجع الأستاذ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية جـ٢ قسم ٢ صـ ١٤١.

(٣) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٨- ١٩.

(٤) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ١٠.

(٥) راجع ساويرس ابن المقفع: السابق ١٢- ١٧، ٢٠.

٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م) مرورا بخلافة معاوية الثاني بن يزيد (٦٤هـ/ ٦٨٣- ٦٨٤م) ، وخلافة مروان بن الحكم (٦٤- ٦٥هـ/ ٦٨٤- ٦٨٥م).

وكان الوالي علىٰ مصر عبد العزيز بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٥- ٧٠٥م) [١] قد استجاب للبطريرك يوحنا في رد أملاك الكنائس وأموالها التي استولىٰ عليها حاكم الإسكندرية المسيحي الملكاني تاوضرس بعد وفاة البطريرك أغاتون، فردت وأعيدت إلىٰ ما كانت عليه[٢].

ويذكر هنا أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان قد اختار عالما مسيحيا أرثوذكسيا من مدينة الرها، يُدعىٰ «أثناس» مؤدبا لأخيه عبد العزيز بن مروان، وقد رافق أثناس هذا تلميذه الوالي علىٰ مصر عبد العزيز بن مروان عندما عُين واليا عليها، وجمع بمصر ثروة طائلة، قيل: إنه امتلك أربعة الآف من العبيد، كما ملك كثيرا من الدور والبساتين، وكان الذهب والفضة عنده «كأنها الحصىٰ»، وكان أولاده يأخذون من كل جندي دينارا، عندما يتسلم راتبه، ولما كان جيش مصر قد بلغ حينذاك ثلاثين ألف جندي، فإنه من الممكن أن تكون فكرة عن الثروة التي جمعها أثناس خلال الفترة التي قضاها عبد العزيز بن مروان واليا علىٰ مصر [٣].

وقد اشار (الكندي) إلىٰ مكانة المسيحي الأرثوذكسي أثناس عند عبد العزيز بن مروان بمصر، وإلىٰ عمله بديوان العطاء بها [٤].

---

(١) تولاها لمدة عشرين سنة وعشرة أشهر، بعد سعيد بن يزيد وعبد الرحمن بن عتبة. راجع الكندي: ولاة مصر ٦٤- ٧٩.

(٢) راجع ساويرس ابن المقفع: السابق ٢١، ٢٥- ٢٦.

(٣) أرنولد: الدعوة إلىٰ الإسلام ٨١، ٨٢. وراجع ترتون: أهل الذمة في الإسلام صـ ١٥- ١٧ للوقوف علىٰ أخبار أخرىٰ تتصل بمركزه الراقي، ومكانته السامقة في مصر وثرائه الواسع ونفوذه العظيم.

(٤) راجع الكندي: ولاة مصر ٧٢، ٨٠.

وذكر ساويرس بن المقفع أنه قد غلب علىٰ الوالي عبد العزيز بن مروان كاتبان نصرانيان أرثوذكسيان مأمونان جعلهما علىٰ كورة مصر ومريوط، أحدهما يدعىٰ: أثناسيوس من أهل الرها، والآخر اسمه أبو إسحاق «وهو وولده من أهل شبرا، وهم قوم أخيار أرثوذكس» [1].

وكان البطريرك يوحنا يعتمد عليهما في قضاء مصالحه، ومصالح أتباعه.

وحاول المسيحيون الملكانيون إيغار صدر الوالي عبد العزيز بن مروان علىٰ البطريرك يوحنا، فسعوا إلىٰ الوالي مستغلين زيارته للإسكندرية وعدم خروج البطريرك يوحنا لاستقباله «وقالوا إنه ما خرج ولا تلقاك لكثرة تجبره، وكبريائه، وكثرة ماله» بينما ذكر البطريرك أنه لم يعلم بوصول الوالي عبد العزيز بن مروان، فصدقه الوالي «وقال له أنت صادق عندي» وقبل عذره، وخرج البطريرك من دار الإمارة آمنا «والشعب حافون به وبين يديه وهو راكب دابته بالقراءة والترتيل حتىٰ دخل البيعة» [2].

وفي أيام البطريرك يوحنا استطاع عن طريق الكتّاب المسيحيين الأرثوذكس، وشعبه أن يجمع المال اللازم لبناء بيعة مار مرقس «وكملها في ثلاث سنين بكل زينة، واشترىٰ لها رباعا بمصر، وفي مريوط واسكندرية وبنىٰ طاحون كعك، ومعصرة زيت حار، ودورا كثيرة جعلها لبيعة القديس ماري مرقس (وقفا) وباركه الرب من كل وجه في أعماله وكلامه» [3].

ولما حدث غلاء في أيام البطريرك يوحنا، فإنه أنفق فيه المال علىٰ المحتاجين والمعوزين «كانت طاحونة الكعك لا تبطل لا ليلًا ولا نهارًا، بل تعمل للمنقطعين» [4].

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٥. وراجع صـ ١٠٥.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٣٧- ٣٨ وراجع من صـ ٢٨.

(٣) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٤٠، ٤٥.

(٤) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٤٣، وراجع من صـ ٤٢.

ولما أتم الوالي عبد العزيز بن مروان زيارته للإسكندرية خرج البطريرك يوحنا بصحبته إلىٰ أن وصل إلىٰ الفسطاط، فأصابه مرض، فحزن عليه الوالي عبد العزيز بشهادة ابن البطريرك نفسه «فحزن عليه وأنفذ الكتّاب ليتفقدوه، وأعدوا له مركبا، لينحدر إلىٰ الإسكندرية» فاستقبله بها الأساقفة وشعب كنيسته، ولما وصل إلىٰ بيعة القديس مرقس التي بناها حانت وفاته [1]. وقد وقع اختيار البطريرك يوحنا قبل وفاته علىٰ إسحاق ليخلفه في منصبه، غير أن رجال الكنيسة اختلفوا في تعيين البطريرك إسحاق، وأراد بعضهم تعيين غيره، وهو مرقس، فما كان من الأمير عبد العزيز بن مروان إلاّ أن أرسل من الفسطاط بعض رجاله إلىٰ الإسكندرية ليفصلوا بكل عدل وحيادية بين المتصارعين حول منصب البطركية، ووقفوا علىٰ كتابات من البطريرك يوحنا بتعيين إسحاق، فَعُيّن بطريركا، وأظهر الأمير عبد العزيز ابن مروان انزعاجه من محاولات الالتفاف علىٰ اختيار البطريرك يوحنا لخليفته من بعده[2].

وفي أثناء بطركية البطريك إسحاق (٦٧-٧٠هـ/ ٦٨٦-٦٨٩م) تم تجديد بيعة القديس مرقس، وبيع الأرثوذكس الأخرىٰ، وتم بناء بيعة بحلوان في موضع كان يرتاده الوالي عبد العزيز بن مروان [3] الذي أمر رجال الدين المسيحي بمصر ببناء مساكن لهم بحلوان جنوبي الفسطاط. وكان الوالي عبد العزيز بن مروان قد اختار حلوان سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م لتكون مقرا لولايته، فاتخذها مقرا لحكمه وسكنه، وجعل بها الحرس والشرطة، وبنىٰ بها الدور والمساجد وغيرها، وغرس أشجارها

(١) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٤٤-٤٥.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٤١- ٤٢، ٤٦-٥١. وراجع: المقريزي: الخطط ٢/ ٤٩١. وابن العميد: تاريخ المسلمين صـ١٦٣.

(٣) ساويرس ابن المقفع: السابق ٥١-٥٢.

المختلفة، وأسكنها الناس [1]. وتجدر الإشارة هنا إلىٰ عدم التفرقة بين المسلمين والمسيحيين في سُكنىٰ دار الإمارة الجديدة، وفي إنشاء المساجد والكنيسة أيضا بحلوان، بعدما وقع الطاعون بمدينة الفسطاط، فهرب من الوباء عبد العزيز بن مروان إلىٰ حلوان، وأسكنها المسيحيين والمسلمين، وبها توفي سنة ست وثمانين، فحمل في نعش من حلوان إلىٰ مدينة الفسطاط حيث دفن بها [2].

ولأن أرض حلوان كانت ملكا للمسيحيين، فإن عبد العزيز بن مروان لم يغتصبها أو يجبر أهلها علىٰ تركها ، بل اشتراها من أصحابها «فنزل حلوان، واشتراها من القبط بنحو عشرة آلاف دينار وبنىٰ بها دار السلطنة والجامع، وأنزل جيشه» [3].

وإذا كان غير المسلمين لم يظلموا في أثناء بطركية البطريرك إسحاق، فإنه أقدم علىٰ لعب دور سياسي في ولاية عبد العزيز بن مروان، بقيامه بالكتابة إلىٰ ملك الحبشة ، وملك النوبة النصرانيين، لإنهاء الخصومات والإحن والخلافات [4] بينهما، وهما من أعداء المسلمين والدولة الأموية، الأمر الذي دفع قوما إلىٰ إبلاغ عبد العزيز بن مروان بموقف البطريرك يوحنا، فغضب وهدد وتوعد بالانتقام، فتم تبديل الرسائل، برسائل أخرىٰ جديدة غفلا من دور البطريرك، في إزالة سوء التفاهم بين الملكين المسيحيين، وقدمت هذه الرسائل الجديدة إلىٰ والي مصر «فلما وقف

---

(١) الكندي: ولاة مصر ٧١-٧٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٢٢٤، ٢٣٩، وابن كثير: البداية والنهاية مجلد ٤ جـ٨ صـ ٨٦٩. وابن إياس: بدائع الزهور جـ١ قسم١ صـ ١٢٢. وراجع الذهبي: دول الإسلام ١/ ٥٣.

(٢) الكندي: السابق ٧٦، وابن كثير: السابق مجلد ٥ جـ٩ صـ ٧٩ وذكر أنه حُمل إلىٰ الفسطاط في النيل. وابن إياس: السابق ١٢٢ وراجع الذهبي: السابق ١/ ٥٣. ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٩١.

(٣) الذهبي: السابق ١/ ٥٣، وابن كثير: السابق ٨٦٩، وابن تغري بردي: السابق ٢٣٩.

(٤) عن السلطة الروحية للكنيسة المصرية علىٰ كنيستي الحبشة والنوبة راجع ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٣٧٠-٣٧١.

عليها، لم يجد شيئا مما ذكر له، فسكن غضبه» [1] وانتهىٰ هذا الموقف بخير. ويظهر أن الوالي لم يكن ليمانع البطريرك في القيام بدوره الديني باعتبار النوبة والحبشة يدينان بدينه ومذهبه، وأن له سلطة روحية بطبيعة الحال عليهما، بدليل أنه اطلع علىٰ الكتب المكتوبة من جديد، والخالية من الدور السياسي للبطريرك، وتغير موقفه من البطريرك بعد التأكد من خلو الرسائل من أهداف سياسية، فالعبرة في مضمون الرسالة، وليست في الرسالة نفسها.

ومن جديد يقع خلاف بين رجال الدين المسيحي حول اختيار البطريرك الأرثوذكسي بعد وفاة البطريرك إسحاق سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م، ولم تتدخل الإدارة الأموية بمصر، حتىٰ تم الاتفاق علىٰ تعيين البطريرك سيمون خلفا للبطريرك إسحاق، وكَتَب بذلك إلىٰ الأمير عبد العزيز بن مروان [2].

ومما يؤكد علىٰ الحرية الكاملة، والاختيار الحر لرجال الدين المسيحي بمصر زمن الأمويين في اختيار بطركهم أن البطريرك سيمون كان سريانيا [3] ولم يكن مصريًا [4]، ولما توجه إلىٰ لقاء الوالي عبد العزيز بن مروان بالفسطاط، بصحبته بعض الأساقفة قال لهم عبد العزيز بن مروان: «فما تقدرون أنتم أن تقيموا واحدا من بلادكم. فأجابوه وقالوا له: إنّ الذي قد اخترناه قد أحضرناه» فوافق علىٰ اختيارهم، وأمرهم أن يمضوا به ويوسموه بطريركا «وتقدم إلىٰ أكثر الأساقفة بالمسير صحبته، فمضوا به إلىٰ الإسكندرية، وقدموه علىٰ الكرسي الرسولي في البيعة العظمىٰ» [5].

---

(١) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٥٢-٥٤.

(٢) راجع هذا الخلاف عند ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٥٥/ ٥٦.

(٣) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٥٨، ٦١ ، وابن العميد: تاريخ المسلمين صـ ١٦٣، والمقريزي: الخطط جـ٢ صـ ٤٩١.

(٤) عن البطريرك سيمون قبل تولي منصبه في الكنيسة المصرية راجع ساويرس ابن المقفع: السابق ٥٧-٥٩.

(٥) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٦٠- ٦٤.

وحدث تعايش سلمي بين البطريرك سيمون وأتباعه، وبين الوالي عبد العزيز بن مروان في مصر، فلقد قيل عن سيمون: «وكان هذا القديس سيمون مجتهدا طول عمره أن لا يكون له عثرة بين النصارىٰ والمسلمين» [١]. أما الوالي عبد العزيز بن مروان، فإنه سمح بتعميد القلالي بلافتور [٢]، وأمر ببناء بيعتين في حلوان «ووكل الوالي بعمارتهما اغريغوريس أسقف القيس» [٣]. ولما حدث خلاف بين البطريرك سيمون والوالي عبد العزيز بن مروان حول قيام الأول بتنصيب أسقف رقسيس بالهند، دون علم الوالي، وتأكد الوالي عبد العزيز ابن مروان من سلامة موقف البطريرك، وعدم قيامه بهذا التعيين لأسقف الهند «ولم يكونوا مطيعين للمسلمين» [٤] أثنىٰ عليه ومدحه وذكر صلاحه لأخيه الخليفة عبد الملك بن مروان[٥].

وعندما اشترك بعض الكهنة مع بعض السحرة في سم البطريرك سيمون بسبب انعزاله وبعده عن مخالطة الأساقفة والكهنة، فإن الأمير انزعج وقرر قتلهم، لولا عفو البطريرك عن الكهنة، فأطلقهم الأمير وقتل السحرة[٦].

وقد استجاب عبد العزيز بن مروان لطلب المسيحيين في أن يعين الأسقف اغريغوريس متوليا شئون الكنيسة، حتىٰ يتم اختيار البطريرك الجديد بعد وفاة

---

(١) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٩٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ٣/ ٧٠.

(٣) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٩١، وقارن بصفحة ٨١، والقيس مدينة بالمنيا.

(٤) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٧٨.

(٥) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٧٨- ٩٠. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٦٣- ١٦٤. والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩١.

(٦) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٦٦- ٧٠. وقد توفي البطريرك سيمون متأثرا بهذا السم. وقد حزن عليه الأمير عبد العزيز بن مروان: ساويرس ابن المقفع: السابق.

البطريرك سيمون «وأنفذ اغريغوريس أسقف القيس إلىٰ الإسكندرية، وجعل له الأمر في مال البيع» [1].

ولما اتفق الأساقفة والكهنة علىٰ ترشيح القس الأكسندروس بطريركا جديدا، ليكون البطريرك الثالث والأربعين، وافقهم الوالي عبد العزيز بن مروان، وذلك في سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م، ونُصب بطريركا «في يوم عيد القديس ماري مرقس» [2]. واستمر في منصبه لمدة خمس وعشرين سنة تقريبا [3].

وفي هذه السنوات حدثت شدائد له ومضايقات – أحيانا- من بعض الولاة علىٰ مصر [4]، وكانت هذه المضايقات متصلة بالنواحي المالية للمسيحيين، وليست بالجوانب الدينية، ومنها: فرض الجزية في بعض السنوات علىٰ الرهبان، وإلزام البطريرك نفسه بتقديم بعض المال لولاة مصر [5]، ومنها: عدم رضا البطريرك الأكسندروس عن متولي ديوان الإسكندرية المسيحي تاودرس « وكان بينه وبين الأب البطرك الكسندروس معاداة عظيمة»[6]. ومنها: تملك بعض الرهبان للمال الكثير[7]، واقتناؤهم للجواري والملابس الفاخرة [8]، ومنها: الاتهام بضرب العملة للبطريرك [9]، ومنها: تعريب الدواوين، والاعتماد علىٰ العمال المسلمين في دواوين

---

(١) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ١٠٥- ١٠٦.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ١٠٧- ١٠٨. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٦٤. والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩١.

(٣) راجع ابن العميد: السابق ١٦٤. والمقريزي: السابق ٢/ ٤٩١.

(٤) راجعهم عند الكندي: ولاة مصر ٧٩- ٩٥.

(٥) سيتم مناقشة ذلك في موضعه في هذا البحث. وراجع ساويرس ابن المقفع: السابق ١١٠- ١١١، ١١٨- ١٢٠، ١٢٧- ١٣٣، ١٥٧- ١٦٠، ١٦٤.

(٦) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٢٥.

(٧) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٣٠- ١٣٢.

(٨) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٣١.

(٩) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٣٤.

الدولة، في بعض الأحيان [1]. وغير ذلك من أمور مالية عكرت في بعض الوقت صفو العلاقة الطيبة بين مسلمي ومسيحي مصر علىٰ جميع المستويات، ونالت من التعايش السلمي بين الجانبين، وكان لكل فريق وجهة نظره في تفسير الأحداث والوقائع التاريخية.

وقد رأت الإدارة الأموية أنه لا يجوز الاحتفاظ بكميات كبيرة من العلمة الرومية بعد إلغائها واستبدالها بالعملة الإسلامية [2]، ولذا فإن المخالفين لذلك لابد من معاقبتهم، وكان مع بعض الرهبان كميات كبيرة من هذه العملة [3]، كما رأت الإدارة الأموية ضرورة فرض مال علىٰ الكنائس والرهبان وغيرهم، بسبب ما شاهدته من غنىٰ واسع وثراء عريض، لدرجة أنّ الكاسات المصنوعة من الذهب والفضة كانت مستخدمة في البيع، ولمّا افتقرت هذه البيع استعملت الكاسات الزجاج، وكان هذا محل استغراب بعض المؤرخين المسيحيين [4]. وهذه المضايقات المالية أزالها جميعا عمر بن عبد العزيز، فرفع الجزية عن الرهبان والأساقفة، ومنع من تقديم البيع لبعض الأموال [5]، وإن كانت هذه الفروض المالية قد عادت في وقت آخر زمن الأمويين [6]. وقد عانىٰ من القسوة والمضايقات الأموية في بعض الوقت المسلمون مع المسيحيون أيضا [7].

وفي خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م) عاد التعايش السلمي إلىٰ عهده الرائع، وصورته المشرقة، وقد وصف بالخوف من الله

---

(١) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ١٦٦.
(٢) أمر بتعميم العملة العربية الجديدة في سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ١٣٠- ١٣٣.
(٤) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٣٥ وراجع ١٣١.
(٥) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٦٦.
(٦) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٦٩.
(٧) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٥٧.

وأنه محب للأرثوذكس [1]. ولا يظلم أحدا، ولذا رضىٰ عنه المسيحيون، ودعا له البطريرك الأكسندروس «نبارك علىٰ الملك هشام، ونسأله أن تتثبت مملكته سنينا كثيرة ، ويظفر بأعدائه ليفعل الاستقامة أمام الرب» [2]. واختار الخليفة هشام واحدا «يحب البيع الأرثوذكسية جدا، اسمه عبيد الله (ابن الحجاب) فلما نظره الملك هشام يفعل ذلك، فرح جدا، وولاه خراج مصر، وأوصاه أن يفعل الخير مع بني المعمودية» [3]. إلا أن صاحب خراج مصر عبيد الله بن الحجاب، كتب إلىٰ الخليفة هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر الخراجية تحتمل الزيادة، وزاد خراجها فعلا، علىٰ كل دينار من الخراج ثمن دينار [4]، مما جعل القبط يثورون للمرة الأولىٰ سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م [5]. وتضرر مسيحو مصر [6] ومسلموها [7] من أذىٰ عامل الخراج ابن الحجاب، مما جعل الخليفة هشام بن عبد الملك بعزله [8].

وبعد وفاة البطريرك الأكسندروس اختار الأساقفة والكهنة القديس قزمان بطريركا، أقام خمسة عشر شهرا ومات [9].

وخلف البطريرك قزمان البطريرك تاودروس سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م [1]، واستمر إحدىٰ عشرة سنة بطريركا، وكانت أمور أتباعه مستقرة آمنة، والبيع في نمو وزيادة،

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ١٧٠ وراجع ١٧١ - ١٧٣.

(٢) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ١٧١ وراجع ١٧٢ - ١٧٣.

(٣) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ١٧٣ - ١٧٤. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٦٦.

(٤) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٢٠٠. والكندي: تاريخ مصر ٩٥.

(٥) الكندي: السابق ٩٥.

(٦) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٧٤ - ١٨٤. وابن العميد: السابق ١٦٤ - ١٦٦. والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩١ - ٤٩٢.

(٧) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ١٧٧، ٢٠٠ - ٢٠١. وابن العميد: السابق ١٦٦.

(٨) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ٢٠١. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٣٣٦.

(٩) ساويرس ابن المقفع: السابق ١٩٤ - ١٩٨. والمقريزي: السابق ٢/ ٤٩٢.

والأحوال هادئة وادعة «وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بغير مقاوم لها، ولا شقاق فيها في جميع أيامه، وأقام إحدىٰ عشرة سنة ونصفا» [٢].

وفي أيام البطريرك تاودروس أحدثت كنيسة بالحمراء ظاهر مدينة الفسطاط في سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م، وعرفت بكنيسة يوقنا، ثم سميت كنيسة أبي مينا، في أثناء إمارة الوليد بن رفاعة [٣]، وفي خلافة هشام بن عبد الملك، قام جماعة من المسلمين علىٰ الوليد بن رفاعة بسببها، يتقدمهم وُهيب اليَحصبي [٤]، فأتىٰ إلىٰ ابن رفاعة ليفتك به «فأخذ وقُتل» ثم خرج القراء علىٰ الوليد بن رفاعة أمير مصر، حتىٰ تمكن من القبض علىٰ زعماء الثائرين ثم عفي عنهم [٥].

وآخر بطريرك في الدولة الأموية بمصر هو البطريرك أنبا خايل الأول، والذي تولىٰ منصبه سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م [٦] ولمدة ثلاث وعشرين سنة. وكان قد حدث نزاع واسع بين الأساقفة والكهنة حول اختيار البطريرك الذي يخلف تاودروس، ولم تتدخل الإدارة الأموية في هذا الصراع المرير [٧]، والوالي حفص بن الوليد [٨] يطلب

---

(١) هكذا عند ابن العميد: تاريخ المسلمين ١٨٨، والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢، بينما عند ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٠٥ كان سنة ١١٣هـ/ ٧٤٣م.

(٢) ساويرس ابن المقفع: السابق ٣/ ١٩٩، ٢٠٤.

(٣) عنه راجع الكندي: ولاة مصر ٩٨- ١٠١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٣٠٠، ٣٣٨، ٣٥٥.

(٤) كان من أهل اليمن ، ثم قدم مصر، واستقر بها. الكندي: السابق ١٠٠.

(٥) الكندي: السابق ٩٩-١٠٠. والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

(٦) راجع ابن العميد: السابق ١٨٨، والمقريزي: السابق ٢/ ٤٩٢، أما ساويرس: السابق فيجعل ذلك سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م. راجع صفحة ٢٠٥.

(٧) راجعه عند ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٣٨- ٢٦١.

(٨) تولىٰ ولاية مصر ثلاث مرات الأولىٰ في خلافة هشام بن عبد الملك، والثانية في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، راجع الكندي: ولاة مصر ٩٦- ٩٧، ١٠٤- ١٠٦، وكانت الولاية الأخيرة له زمن مروان بن محمد. راجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٣٣٦- ٣٣٧، ٣٨٤- ٣٨٦، ٣٧٢- ٣٧٥.

إليهم تعيين البطريرك «إذا استقر رأيكم علىٰ إنسان، احفظوه حتىٰ أبصره» [1] دون أدنىٰ تدخل، وبعد عشرة أيام من الخلاف حول اختيار البطريرك الجديد [2]، تم الاتفاق علىٰ تعيين ميخائيل (أنبا خايل) بطريركا، ومضىٰ الأساقفة والكهنة بعد ذلك إلىٰ قصر الوالي حفص بن الوليد، وأخبروه باختيارهم [3] فقال لهم: «هذا الرجل الذي اصطفاه الله لكم أن يكون لكم أبا، خذوه ، ورامضوا به بسلام. فتقدم أنبا تادرس أسقف الكرسي، ودعا للأمير، وسار معه» [4]. ولما ركب الأب ميخائيل (أنبا خايل) والأساقفة المراكب من الفسطاط إلىٰ الإسكندرية، وجدوا المسيحيين ينتظرونهم في شوارعها «ومعهم شمع وصلبان وأناجيل» [5].

وفي أثناء بطركية أنبا خايل، وقع نزاع مرير، وخلاف عظيم بين اليعاقبة والملكانيين، وتقدم بطريرك كل فريق هذا الصراع [6] الذي استمر شهرين كاملين [7]، بسبب أحقية كل جانب في بيعة أبي مينا بمريوط، وذلك في أثناء خلافة مروان بن محمد (١٢٧- ١٣٢هـ/ ٧٤٤- ٧٤٩م) الذي كلف عامله علىٰ مصر عبد الملك بن مروان بن موسىٰ بن نصير [8]، فأحضر البطركين: اليعقوبي والملكاني إلىٰ قصره مرارا، ليقف علىٰ أحقية أحدهما في البيعة [9]. وبعد دراسة وثائق كل فريق [10] حكم القاضي

---

(١) ساويرس: السابق ٣/ ٢٤٧.
(٢) ساويرس: السابق ٣/ ٢٥٢.
(٣) ساويرس: السابق ٢٦١.
(٤) ساويرس: السابق ٢٦٤.
(٥) ساويرس: السابق ٢٦٤/ ٢٦٥.
(٦) ساويرس: السابق ٢٧٧/ ٣٠٨.
(٧) ساويرس: السابق ٢٩١.
(٨) عنه راجع الكندي: ولاة مصر ١١٦. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١ صـ ٤٠٠- ٤٠٢.
(٩) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٧٩- ٢٨١، ٣٠٠.
(١٠) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٢٩٢ وراجع صـ ٢٨١.

أبو الحسن بأحقية البطريرك اليعقوبي أنبا خايل في بيعة أبي مينا بمريوط، بحضور البطركين، وأصحاب الدواوين الكتّاب، والمترجمين ووجهاء مصر [١]، وسلم البيعة للبطريرك اليعقوبي أنبا خايل، «وأطلقونا مبجلين، مكرمين، فتسلمنا بيعتنا» [٢].

ووقعت محنة للبطريرك أنبا خايل، وشدّة لأتباعه، بسبب المطالبة بالمال ، وامتناع البطريرك عن تقديم مال عن بيعه، مما جعل الوالي عبد الملك بن مروان بن موسىٰ بن نصير يأمر باعتقال الأب أنبا خايل، وكان في السجن معه بعض المسلمين [٣]، وفي نهاية الأمر تم إطلاق أنبا خايل [٤]، وأصبح حبيبا للوالي عبد الملك، يدعوه ومعه الأساقفة إلىٰ قصره [٥]، ويطلب منه أن يدعو له، وصار «يجب النصارىٰ لأجل محبته للأب البطرك، وكان أيضا يحب الأساقفة ويكرمهم» [٦]. وقام البطريرك بتجديد بيعة الإسكندرية وإصلاحها، وبناء غيرها في شرقي البلد وغربيه «وتم ما بناه في أيام حياته» [٧].

ولم تكن الصلة الطيبة للبطريرك أنبا خايل بوالي مصر هي الأولىٰ من نوعها، فقد سبق ذلك ارتباط وثيق بن البطريرك ووواليها حسان بن عتاهية [٨] في خلافة مروان بن محمد أيضا «وكان قد حكم بالحق مثل سليمان، وهو محبٌ للبيع والأساقفة

---

(١) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٠٥-٣٠٧.

(٢) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٠٨.

(٣) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣١٥.

(٤) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣١٣- ٣٢٣. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٨٨ . والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

(٥) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٧٥.

(٦) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٧٥.

(٧) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٧٦.

(٨) عنه راجع الكندي: ولاة مصر ١٠٧ - ١٠٨ . وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٣٨٢- ٣٨٣.

والرهبان، وكان يحب البطريرك أنبا خايل، وكان يحضره، ويتحدث معه دفعات شتىٰ عند مضيه إليه من أول بطركيته، وكان محبا للأرثوذكسيين» [1].

لقد كانت العلاقة الطيبة هي أساس التعامل والتعايش بين الدولة ومسلميها، وبين مسيحيها في أغلب فترات بطركية البطريرك أنبا خايل «وقامت السلامة والهدوء بمصر خمس سنين، ثم إنهم أخرجوه من مصر- حسان بن عتاهية- وولوا إنسانا اسمه عبد الملك ابن موسىٰ بن نصير» [2]. وقد استمرت هذه العلاقات القوية بين الجانبين حتىٰ نهاية الدولة الأموية، ولم تتعكر إلاّ في أوقات يسيرة، بسبب نهم بعض الولاة للمال، وتطلعهم إلىٰ ثراء الكنيسة المصرية، بدليل أن المصادر تناولت سوء تعامل عبد الملك بن موسىٰ بن نصير مع البطريرك أنبا خايل لبعض الوقت، وقد سُبق هذا الوالي بعدة ولاة، ولم يرد أنهم عاملوا الكنيسة معاملة سيئة، فالتجاوز كان استثناء لا غير [3].

ولا شك في أن التجاوزات التي حدثت من بعض الولاة في بعض الوقت بحق المسيحيين أو المسلمين أحيانا، وما كان يحدث من وباء في بعض العهود قد أثر علىٰ حياة المسلمين والمسيحيين، وإلاّ فإن الأحوال الاقتصادية كانت منتعشة بمصر [4]، وهو ما عاد علىٰ البيع والأديرة خاصة [5].

وإذا كانت الإدارة الأموية لم تقصر في الأعم الأغلب- مع اليعاقبة، ولم تصادر حرياتهم الدينية، فإنها في الوقت نفسه لم تضن علىٰ قسم مسيحي آخر بهذه الحرية

---

(١) ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٧٣- ٢٧٤.

(٢) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٢٧٦. ولم يل عبد الملك الوالي حسان مباشرة، بل تولىٰ حفص بن الوليد ولايته الثالثة ثم الحوثرة بن سهيل، ثم المغيرة بن عبد الملك بن مروان. الكندي: السابق ١٠٩- ١١٦. وابن تغري بردي: السابق ١/ ٣٨٤-٣٩٩.

(٣) راجع ساويرس: السابق ٣٧٤.

(٤) ساويرس: تاريخ البطاركة: ٢٦٨.

(٥) راجع ساويرس: السابق ٢١٨، ٢٢٣.

العقدية، وهم الملكانيون، فمارسوا شعائرهم بكل حرية، وكانت لهم كنائسهم وبطاركيهم، وتشير المصادر إلىٰ أن الملكانيين أقاموا من زمن عمر بن الخطاب إلىٰ خلافة هشام بن عبد الملك بغير بطرك، وفي سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م صيّر ملك الروم لاون رجل الدين الملكاني قُسما (قزما) بطركا للملكانية بالإسكندرية، فمضىٰ إلىٰ الخليفة هشام بن عبد الملك؛ يسأله رد الكنائس التي استولىٰ عليها اليعاقبة، الذين غلبوا علىٰ كنائس المالكية كلها، إلا كنيسة مارسابا بالإسكندرية، وميخائيل بالفسطاط، وأمر هشام بن عبد الملك بتسليم كل كنيسة بمصر ثبت ملكية الملكانيين لها، فأخذ البطريرك قزما الكنائس من اليعقوبية، ومنها: كنيسة القيسارية، والبشارة، وغيرهما [١].

وهكذا أنصف الأمويون الجميع، فحكموا بالعدل لصالح الملكانيين هنا، وحكموا لصالح اليعاقبة في كنيسة أبي مينا بمريوط. وقد استمر تعيين بطاركة الملكانيين دون تدخل أيضا من الإدارة الأموية بمصر.

وبسبب نشاط اليعاقبة في التبشير بمذهبهم، فإنهم تمكنوا من نشره بالنوبة المسيحية، وبأرجاء مصر التي صارت (علوها وسفلها يعقوبية) [٢] ولم يكن للخلفاء الأمويين وولاتهم تدخل لحساب مذهب علىٰ آخر.

وهكذا كان للشعب المسيحي كامل الحرية في اختيار البطاركة، وحظىٰ البطاركة في معظم السنين بمكانة حسنة، وتعايش سلمي مع معظم الولاة وعمال الدولة الأموية والمسلمين بمصر [٣].

---

(١) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٤٥- ٤٦. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٨٩، والمقريزي: الخطط جـ٢/ ٤٩٢. وراجع ساويرس: تاريخ البطاركة: ٣/ ٢٤٤، ٢٨٦.

(٢) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٤٦. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٨٩، والمقريزي: الخطط جـ٢/ ٤٩٢.

(٣) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة: ٣/ ٣١٥، ٣٧٩.

ب- حرية العقيدة:

حمىٰ الإسلام حرية التعبد والاعتقاد، ورفض الإكراه علىٰ اعتناق عقيدته، أو الضغط للتحول إلىٰ معتقده، وبنىٰ علاقته مع المخالفين له علىٰ هذا الأساس. وقد التزمت الدولة الأموية هذا المبدأ الإسلامي في تعاملها مع غير المسلمين؛ تحقيقا للتعايش السلمي الصحيح المبني علىٰ حرية التدين. ولم تكن هناك هيئة تتولىٰ مهمة نشر الإسلام ف البلاد التي فتحها المسلمون، وكانت المعاملة الكريمة والتسامح المطلق مع أهالي البلاد المفتوحة دافعا إلىٰ التعرف علىٰ الإسلام، واعتناق البعض للإسلام بلا إجبار ولا إكراه وبدون عنف أو قسوة، وإنما اعتنق البعض للإسلام عن طواعية واختيار كاملين. وكانت بساطة وسهولة العقيدة الإسلامية سببا آخر من أسباب الإقبال علىٰ الإسلام [1]. وكان تحول مصر- خاصة- إلىٰ الإسلام تدريجيا، وعبر ثلاثة قرون [2]. وقد بدئ في دخول المصريين في الإسلام قبل فتح مصر، وقبل أن يلتقي عمرو بن العاص بأي جندي روماني بشهادة الأسقف يوحنا النقيوس المعاصر لأحداث الفتح الإسلامي لمصر، والذي ذكر أن أحد رهبان دير سينا، ويدعىٰ يوحنا «انضم إلىٰ عقيدة الإسلام، وترك زيه الكنسي، واتخذ سيفا، وطارد المسيحيين بسيدنا يسوع»[3]. وكان من آثار الحرية الدينية في عهد الأمويين أن أثار يوحنا الدمشقي [4]

---

(١) كلود كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ٣٦.

(٢) أصبحت الغالبية في مصر مُسلمة بعد سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م. وراجع كتاب الباحث «مصر في ظلال الإسلام حتىٰ نهاية عصر الأيوبيين» صـ ١٤٧، ١٥٢-١٥٤.

(٣) يوحنا النقيوس: تاريخ مصر ٢٢٢ وراجع ١٩٧.

(٤) كان في البلاط الأموي حتىٰ خلافة عمر بن عبد العزيز ثم لزم أحد الأديرة وعكف القديس يوحنا علىٰ دراسة الإسلام للطعن فيه. راجع دانييل ساهاس: الشخصية العربية في الجدال المسيحي . بحث بمجلة «الاجتهاد» عدد ٢٨ صـ ١١٠- ١١٩.

شبهات حول النبي ﷺ ، وأخرىٰ حول تقبيل الحجر الأسود، وغير ذلك، وكان يزود المسيحي بإجابة عن كل اعتراض ديني يمكن أن يوجهه المسلم إليه [1].

وفي مصر زمن الأمويين حدث تحول إلىٰ الإسلام بكل اختيار وطواعية «أضل الشيطان خلايق من المصريين النصارىٰ فتخلوا عن دينهم، ومنهم من اكتتب، وصار من العسكرية» [2].

وقد أسلم في أثناء ولايات حفص بن الوليد الثلاث علىٰ مصر أربعة وعشرون ألفا «يا أبانا- أنبا خايل- صل علينا واجتهد فقد أحصينا من انتقل إلىٰ دين الإسلام من إخوتنا بني المعمودية من مصر وأعمالها علىٰ يد هذا الوالي أربعة وعشرين ألف إنسان» [3].

ويلاحظ هنا عدم ورود أية إشارة تتصل بإجبار أو إكراهٍ أو ضغط من أي نوع، وأن الأنبا أنبا خايل اكتفي بوعدٍ بنهاية مفجعة للوالي حفص بن الوليد، ولم يشر هو الآخر إلىٰ وجود إكراه علىٰ ترك هؤلاء دينهم، والتحول إلىٰ الإسلام [4].

وقد أدىٰ مسيحيو مصر شعائرهم في معابدهم بكل أمان واطمئنان، ومما ورد دليلا علىٰ ذلك من روايات أنه في الوقت الذي كان فيه أحد ولاة الإسكندرية يجهزون الأسطول بها، للانطلاق لمحاربة الروم، كان نحو عشرة آلاف مسيحي أرثوذكسي في بيعة السيدة العذراء، يؤدون شعائرهم الدينية [5].

---

(١) دانييل ساهاس: المقال السابق ١٢٢- ١٣٦ وراجع أرنولد: الدعوة إلىٰ الإسلام ١٠٣، ١٠٤-١٠٧.

(٢) ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة: ٣/ ٢٧٠.

(٣) ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة: ٣/ ٢٧١- ٢٧٢.

(٤) ساويرس بن المقفع: السابق: ٢٧٢- ٢٧٣.

(٥) ساويرس بن المقفع: السابق: ٣/ ٣٧٧ ولم يحدد اسم الوالي الأموي ولا زمن حدوث الوقعة، لكنه يغلب علىٰ الظن أن ذلك كان قبل خلافة عمر بن عبد العزيز. راجع ساويرس بن المقفع: السابق: ١٦٤،

وأدىٰ هؤلاء الذين بقوا علىٰ دينهم الجزية المفروضة علىٰ الرجال منهم القادرين علىٰ حمل السلاح، دون الرهبان ورجال الدين والنساء والصبيان، مقابل الدفاع عنهم، فهي ضريبة دفاع، لا ضريبة رأس بدليل رد أبي عبيدة عامر بن الجراح لجزية نصارىٰ حمص، عندما عجز عن الدفاع عنهم أمام الروم في أثناء فتحه لحمص سنة ١٤ هـ/ ٦٣٥م وقال: «قد شغلنا عن نصرتكم، والدفع عنكم، فأنتم علىٰ أمركم» [١]. وبدليل عدم أخذ المسلمين للجزية من الجُراجمة بجبال اللكام بالقرب من أنطاكية، في الدولة الراشدة والأموية، حيث كانوا أعوانا للمسلمين وعيونا لهم في جبال اللَّكام علىٰ الروم، وحيث سمح لهم بالاشتراك مع المسلمين في حرب الروم[٢].

وكان النبي ﷺ قد وضع أساس هذا المنهج في التعامل مع غير المسلمين، إذا اشتركوا في جيش المسلمين ضد أعدائهم، فقد وادع جميع يهود المدينة المنورة عند هجرته المباركة إليها موادعة مطلقة «ولم يضرب عليهم جزية، وهذا مشروع عند أهل العلم بمنزلة التواتر بينهم حتىٰ قال الشافعي: لم أعلم مخالفا من أهل العلم بالسير أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة وادع اليهود كافة علىٰ غير جزية» [٣]. وذلك لأنه أَشركهم في الدفاع عن المدينة المنورة، بل فرض لهم عند الغزو معه. فعن الزهري قال: «كان اليهود يغزون مع رسول الله ﷺ فيسهم لهم» [٤].

---

٥٥٩. وإن كانت العناية بالأسطول، وتطوير صناعة السفن، استمرت حتىٰ نهاية الدولة الأموية، راجع ساويرس بن المقفع: السابق: ٢٧٧، ٤٤١.

(١) البلاذري: فتوح البلدان ١٤٣.

(٢) البلاذري: السابق وياقوت: معجم البلدان ٢/ ١٢٣.

(٣) ابن تيمية: الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ٦٢.

(٤) أبو عبيد بن سلام: الأموال ٢٦٦.

ولما كان بعض نصارىٰ مصر قد اشتركوا في جيش الأمويين[1]- أحيانا- في الأسطول، فإنه من الواجب إعفاؤهم من هذه الجزية، وإن كانت المصادر المتاحة لم توضح هذا الأمر.

وعلىٰ أية حال، فإن مقدار الجزية كان ضئيلا، يختلف من فئة إلىٰ فئة [2]، وقد ظهر من الأوراق البردية المختلفة أن الجزية بمصر زمن الأمويين كانت تتناسب مع قدرة الشخص[3]، وأنها أخذت بلا إيذاء، بل عفوا، وقد رفض عمر بن عبد العزيز إيذاء من يماطل في دفع الجزية قائلا: «فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحبّ إلىٰ من أن ألقاه بعذابهم»[4]. ورفض أيضا دفع الورثة لجزية من مات دون أن يقدمها، أو دفع الأهل لجزية من هرب من أقاربهم. وقال: «ليس علىٰ من مات، ولا علىٰ من أبق جزية، ولا تؤخذ من ورثته، ولا يجعلها بمنزلة الدين، ولا من أهله إذا هرب عنهم منها، لأنهم لم يكونوا ضامنين لذلك» [5].

ويلاحظ أنّ القبط لم يثوروا أبدا بمصر ضد الإدارة الأموية بسبب الجزية ، بل عندما ثاروا سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م ضدها- وبعد ذلك- كان بسبب الزيادة في خراج الأرض [6]، وشاركهم المسلمون في بعض المرات في هذه الثورات، الأمر الذي يؤكد

---

(١) راجع بالتفصيل حالات عديدة لاشتراك غير المسلمين في جيشهم في مصر وغيرها عند ترتون : أهل الذمة في الإسلام ٢١٥- ٢١٦.

(٢) راجع البلاذري: فتوح البلدان ٢٢. وأبو يوسف: الخراج ٢٧٢. وذكرت د. سيدة كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة صـ ٦٤ أن معظم أهل الذمة في مصر وغيرها كانوا يدفعون الحد الأدنىٰ من الجزية وهو بقدار اثنىٰ عشر درهما في السنة. وكشفت أوراق البردي عن التفاوت في دفع الجزية. راجع د. سيدة كاشف: السابق ٥٩- ٧٥.

(٣) د. سيدة كاشف: السابق ٦٧ وراجع دينيت: الجزية والإسلام ١٤٣، وراجع ٩٣- ١٨١.

(٤) أبو يوسف: الخراج ٢٦٨. وراجع: الطبري: تاريخ الطبري ٦/ ٥٦٠.

(٥) أبو عبيد بن سلام: الأموال ٦١.

(٦) راجع الكندي: ولاة مصر ٩٥ ، وساويرس بن القفع: تاريخ البطاركة جـ ٣/ ٢٠٠ والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

بالفعل أن الجزية كانت مناسبة لثروة الشخص، وأنها لم تحل دون المعايشة مع المسلمين، والتعايش السلمي معهم، بل إن عمر بن عبد العزيز- كما سبق- قد أسهم في هذا التعايش في هذا المجال، حتىٰ إنه أيضا أمر بتوزيع المال علىٰ غير المسلمين بعد أعطيات الجند المسلم، وكتب إلىٰ أحد ولاته: «أن قوّ أهل الذمة»[1].

وإذا كان من المقرر فعلا؛ نصوصا وتطبيقا عدم فرض الجزية علىٰ رجال الدين، فإنه قد حدث خرق لهذا الحق المؤكد، والمبدأ الأصيل، وهذا بلا شك يؤثر في التعايش السلمي في نظر غير المسلمين. وهو أن الوالي عبد العزيز بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/ ٦٨٤- ٧٠٥م) وبإشارة من الشماس بنيامين الذي كان مصاحبا لابنه الأصبغ، أوجب الجزية علىٰ الرهبان سنة ٧٤هـ/ ٦٩٣م لأول مرة بمصر، دينارا سنويا «وهذه أول جزية وزنها الرهبان» وألزم القساوسة بالكور كلها بأن يقدموا مجتمعين ألفي دينار سنويا، إضافة إلىٰ خراج أملاكهم [2].

واشتد أسامة بن زيد متولي الخراج علىٰ المسلمين والنصارىٰ معا «وكل المسلمين والنصارىٰ خائفون منه» [3] وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٥- ٧١٧م) وأحصىٰ الرهبان من جديد بمصر وأمرهم بتقديم دينار سنويا، وألاّ يقبلوا رُهابا جُددا «ألا يرهبوا من يأتي إليهم» [4].

وفي خلافة عمر عبد بن العزيز، يزول ذلك كله، فيرسل من يقبض علىٰ أسامة بن زيد التنوخي، ويشتد عليه في العقوبة والإهانة [5]، ويُبطل ما فُرض علىٰ رجال الدين

---

(١) ابن عبد الحكم: الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ٧٦. والوالي هو زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب والي الكوفة.

(٢) ساويرس بن القفع: تاريخ البطاركة ٣/ ١١١- ١١٢. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٦٤.

(٣) ساويرس: السابق ١٥٧. وابن العميد: السابق ١٦٦.

(٤) ساويرس: السابق ١٥٧- ١٦٤. وابن العميد: السابق ١٦٥- ١٦٦. والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

(٥) ساويرس بن القفع: تاريخ البطاركة ١٦٦. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٦٦. وراجع ابن الكندي: فضائل مصر ٣٧- ٣٨. وابن زولاق: فضائل مصر ٩٢.

من جزية، وما قرر علىٰ الكنائس وأراضيها من خراج «وبدا أن يجعل البيع بغير خراج والأساقفة» [1].

وأبطل عمر بن عبد العزيز الجبايات، وعمّر المدن التي خربت (وكان النصارىٰ في أمن وهدوء والبيع) [2]. ولكن الأمور عادت من جديد إلىٰ ما كانت عليه قبل عمر بن عبد العزيز، في عهد خلفه يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥هـ/ ٧٢٠- ٧٢٤م) فأعيدت الجزية علىٰ الرهبان والأساقفة وقُرر الخراج علىٰ ممتلكاتهم وعلىٰ أراضي البيع «وحمل علىٰ الناس ثقلا عظيما حتىٰ ضاق كل من في بلاده» [3]. ومن جديد تُعاد الأمور إلىٰ نصابها في خلافة هشام ابن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م) الذي وُصف بأنه يخاف الله، ومحبٌ للناس وبخاصة الأرثوذكس[4]، وأمر والي مصر عبد الله بن حنظلة، وكل العمال «بأن يُجروا النصارىٰ علىٰ عوائدهم، وما بأيديهم من العهد» وأوصىٰ واليه علىٰ مصر بالنصارىٰ والرعايا[5]. غير أن الوالي ظلم وأضعف الخراج، وآذىٰ المسلمين والنصارىٰ، فبلغ ذلك هشاما فعزله[6].

ومما سبق يتبين لنا خروج الولاة وعمال الخرج بمصر عن أسس التعايش السلمي كان يشمل النصارىٰ والمسلمين معا، وأن الخلفاء الأمويين- في الأعم الأغلب- كانوا ضد أي شيء يعكر صفو الحياة بين المسلمين وغيرهم. بل إن بعضهم كان يقدم مساعدات عينية لبعض هؤلاء الرهبان [7]، وذلك من باب الود والعطف.

---

(١) ساويرس: السابق ١٦٦.

(٢) ساويرس: السابق ٣/ ١٦٦- ١٦٧.

(٣) ساويرس: السابق ١٦٩، والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

(٤) ابن العميد: السابق ١٦٦. والمقريزي: السابق ٢/ ٤٩٢. وراجع ساويرس: السابق ١٩٦- ١٧٨.

(٥) المقريزي: الخطط ١٦٦.

(٦) ساويرس بن القفع: تاريخ البطاركة ١٧٤- ١٧٨. وابن العميد: تاريخ المسلمين ١٦٦.

(٧) أبو عبيد بن سلام: الأموال ٧٢٩.

علىٰ أن هناك وجهة نظر لبعض الباحثين تذكر أن الرهبان كانوا يمتلكون الأملاك الواسعة وكذلك الأساقفة والكنائس والأديرة، وأن كثيرا من الأقباط لجأوا إلىٰ الأديرة كي يتخلصوا من الخراج والجزية، ففطنت الدولة لذلك، ففرضت عليهم الجزية، ويبدو أيضا أن الدولة لجأت لهذا الإجراء كحاجتها الملحة إلىٰ الأموال، ويكفي هنا أن نعلم أن عبد العزيز ابن مروان أنفق في بناء مدينة حلوان مليون دينار[1].

والحق أن إشارات عديدة حفل بها كتاب «تاريخ البطاركة» تكشف عن الغنىٰ الشديد للرهبان، والنشاط الواسع للأديرة في مجال الزراعة، الذي حقق لها إيرادات كثيرة[2]، لدرجة أن تجار مصر كانوا يشترون المحاصيل الزراعية من أديرة الفيوم التي بلغت خمسة وثلاثين ديرا [3].

كل ذلك دفع الإدارة الأموية إلىٰ أخذ الجزية من الرهبان والأساقفة الأغنياء، وأخذ الخراج من هذه الأديرة في بعض الأوقات.

والخلاصة في ذلك أن الجزية التي يمكن أن تكون عاملا مناقضا للتعايش السلمي بمصر لم تكن كذلك، فهي ضريبة كانت مفروضة قبل الفتح الإسلامي لمصر، فرضها البيزنطيون، علىٰ كل شخص من الرابعة عشرة إلىٰ الستين، ولم يعف منها في مصر سوىٰ الروم وأبناء الإغريق وعدد من بقايا البطالمة، وتحمل الأقباط واليهود مُؤْنَة تقديمها للبيزنطيين [4]. ويذكر توماس أرنولد أن الجزية في الإسلام كانت من البساطة بحيث لم تكن تثقل كاهل النصارىٰ أو اليهود، ولم يكن الغرض منها

---

(١) د. سيدة كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة ٨٩- ٩٠ ومصر في عصر الولاة ١٣٠، وعبد العزيز بن مروان ٦٩- ٧٠. وقد ذكر سعيد بن بطريك: التاريخ المجموع صـ ٤٠ إنفاق عبد العزيز في إنشاء حلوان لألف ألف دينار.

(٢) ساويرس بن القفع: تاريخ البطاركة ٣/ ١٣٠- ١٣٢، ١٦٦، ٢١٨.

(٣) ساويرس بن القفع: السابق ٢١٨.

(٤) راجع د محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية ٥٠- ٥١، ود فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ٣/ ٣٢٢.

العقاب للامتناع عن قبول الإسلام[1]، بل لأنها أعفتهم من الخدمة العسكرية التي كانت مفروضة علىٰ إخوانهم المسلمين، ومَنْ انضم إلىٰ الجيش الإسلامي من غير المسلمين أُعفي من أدائها، ولم يكن هناك اضطهاد منظم للمسيحيين، ولا يوجد شاهد واحد يدل علىٰ أن تحول القبط إلىٰ الإسلام كان بسبب أي ضغط أو اضطهاد أو عدم تسامح [2]. ولا شك في أن الذين تحملوا بطش وتنكيل وقتل الرومان بسبب الخلاف في المذهب، وأبوا أن يتخلوا عن مذهبهم العقدي، ورضوا ببذل الدم والنفس دفاعا عن مذهبهم، لا يمكن أن يتحولوا كليةً من دينهم إلىٰ الإسلام بسبب الجزية، بل لأسباب أخرىٰ عديدة تتصل بمضمون وأفكار ومبادئ كل دينٍ علىٰ حدة.

جـ- السماح ببناء الكنائس والأديرة وغيرها:

بنيت العديد من الكنائس بمصر زمن الأمويين، وهو الأمر الذي يدفع إلىٰ تقوية الروابط بين جميع المصريين، ويدعم التعايش بين المسلمين وغيرهم. وقد اعتبر بعض المؤرخين المسلمين أن الكنائس من معالم مصر [3]. وورد في مصادرنا الإسلامية مصطلح: «عمار الكنائس» [4]. ونسب إلىٰ الليث بن سعد [5]، وعبد الله لهيعة [6] فتواهما بأن بناء الكنائس هو من عمارة البلاد، وأن عامة الكنائس التي بمصر «لم تبن إلا في الإسلام في زمن الصحابة والتابعين» [7].

---

(١) ذكر أبو يوسف في كتاب «الخراج» ٢٧٠ أن عمر بن الخطاب أمر أن يُغْلظ علىٰ نصارىٰ بني تغلب لأنهم قوم من العرب، وليسوا من أهل الكتاب، فلعلهم يُسلمون.

(٢) توماس أرنولد: الدعوة إلىٰ الإسلام ٧٧، ٧٩، ٩٠، ١٢٥- ١٣٠.

(٣) ابن الكندي: فضائل مصر ٦٨.

(٤) ابن زولاق: أخبار سيبويه ٥١.

(٥) الليث بن سعد هو شيخ الإسلام، الإمام الحافظ، ولد بمصر سنة ٩٤هـ، وتوفي سنة ١٧٥هـ وكان مستقلا بالفتوىٰ في زمانه، عنه راجع الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨/ ١٣٦-١٦١.

(٦) عبد الله بن لهيعة قاض إمام محدث مصر مع الليث ولد سنة ٩٥هـ، وتوفي سنة ١٧٤هـ، وعنه راجع الذهبي: السابق ٨/ ١١- ٣٢.

(٧) الكندي: ولاة مصر ١٥٦، والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

وأول كنيسة بنيت في عهد الأمويين بمصر هي كنيسة مار مرقص بالإسكندرية في خلافة معاوية [1]، قبل سنة ست وخمسين للهجرة، وهو تاريخ وفاة البطريرك الأول في زمنهم «أغاثون» باني هذه الكنيسة [2].

وأوقفت أوقاف عديدة علىٰ بيعة مار مرقس بالإسكندرية، وكانت هذه الأوقاف بالإسكندرية نفسها، وبالفسطاط، وغيرها [3]. كما بنيت أولىٰ كنائس عاصمة مصر الإسلامية الأولىٰ، الفسطاط التي اختطها المسلمون في ولاية مسلمة ابن مخلد [4]، وأقيمت في حارة الروم، ولما أنكر الجند علىٰ مسلمة بناءها، أصر علىٰ ذلك، فسكتوا [5]. وبنيت العديد من الكنائس في ولاية عبد العزيز بن مروان منها: كنيسة الفراشين أو مار جرجس بحلوان، وكان فراش عبد العزيز بن مروان المالكي قد سأله بناءها، فأذن له بإنشائها بحلوان [6]. وطلب كاتبه اليعقوبي الأرثوذكسي أثناس بناء كنيسة فوافق علىٰ تشييد كنيسة، فأقام أثناس كنيستين : كنيسة مار جرجس وكنيسة أبي قير داخل قصر الشمع [7] بمصر القديمة، وأنشأ غيرهما خارج مصر [8]. وتم تجديد كنيسة القديس مرقس في ولاية عبد العزيز بن مروان أيضا، والعديد من بيع الأرثوذكس ، وبناء كنيسة أخرىٰ بحلوان [9]. وبنيت في إمارته بعض الأديرة في حلوان أيضا [10]. وفي

---

(١) بنىٰ معاوية في خلافته كنائس الرها بعد سقوطها بزلزال في خلافته. المنبجي: تاريخ المنبجي ٧٣.

(٢) ابن العميد: تاريخ المسلمين ١٣٦، والمقريزي: الخطط ٢/ ٤٩٢.

(٣) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٤٠ وراجع الزيادة فيها ٤٥.

(٤) تولاها أولا سنة ٤٧هـ إلىٰ ٤٩هـ ثم مرة أخرىٰ سنة ٦٠هـ إلىٰ سنة ٦٢هـ. الكندي: ولاة مصر ٦١-٦٣، وراجع ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠/ ١٧٥ - ٢٠٥.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ٩٤. والسيوطي: حسن المحاضرة ٥٨٥.

(٦) سعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٤١.

(٧) سعيد بن البطريق: السابق ٤١.

(٨) ذكر ترتون أنه بنىٰ كنيسة في الرها. أهل الذمة في الإسلام ٤٢.

(٩) ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٥١، ٩١.

(١٠) ساويرس: السابق ٣/ ٩١، ١٨٤، ١٨٥ وفيها أديرة بحلوان وغيرها وراجع ١٨٨، ١٩٠.

إمرة الوليد بن رفاعة على مصر زمن هشام بن عبد الملك أُذن للمسيحيين سنة ١١٧ هـ/ ٧٣٥م ببناء كنيسة بالحمراء [١] تعرف بأبي مينا، ولما غضب وهيب اليحصبي معترضا على بنائها، أُخذ وقُتل. وفي أيام مروان بن محمد ، وولاية عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير بنى البطريرك أنبا خايل العديد من البيع، وجدد الكثير منها في الإسكندرية وغيرها [٢].

وكانت بعض الكنائس كبيرة المساحة جدًا بحيث تسع الألوف [٣]، وكذلك بعض الأديرة. وأوقفت على الأديرة الكثيرة [٤]، الأوقاف العديدة الواسعة التي حققت لها إيرادات عظيمة ، وكذلك البيع [٥]. وكان بعض الخلفاء يمنحون بعض المال للبيع والنصارى ومنهم هشام بن عبد الملك الذي وصف بأنه كان يعطي كرامات كثيرة للبيع والنصارى [٦]. وقد عُمرت القلالي أيضا في هذه الفترة التاريخية بمصر [٧].

د- ومن مظاهر التعايش: الحيلولة دون المنازعات الدينية:

ينسب إلى الوالي مسلمة بن مخلد، وإلى معاوية أنه قام سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م بالزيادة في جامع عمرو بن العاص، وابتناء المنابر في المساجد كلها. وأنه أمر بتنظيم أذان الفجر خاصة بالفسطاط لئلا يحدث تداخل بين المساجد [٨]. وحدث أن اعتكف مسلمة بن مخلد في منارة الجامع، فسمع أصوات النواقيس عالية بالفسطاط، فلم

(١) الكندي: ولاة مصر ٩٩- ١٠٠. وذكر المحقق أن الحمراء بين القاهرة ومصر القديمة. وراجع المقريزي: الخطط ٢/ ٥١١.

(٢) ساويرس: السابق ٣/ ٢٨٤، ٣٧٦.

(٣) ساويرس: السابق ٣/ ٢٢٣. وراجع عن كنائس مصر كلها المقريزي: السابق ٢/ ٥١٠- ٥١٨. وعن الأديرة بمصر راجع ٢/ ٥٠٠- ٥١٠.

(٤) ساويرس: السابق ٢١٨ وراجع ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ٢٢٥، ٣٢٩.

(٥) ساويرس: السابق ٩٧، ٩٨، ٩٢، ٩٤.

(٦) ساويرس: السابق ٣/ ١٧٣

(٧) ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٧٠.

(٨) الكندي: ولاة مصر ٦١- ٦٢. والمقريزي: الخطط ٢/ ٢٦٩.

ينهرهم أو يحبسهم، وإنما سأل شيخ المؤذنين شَرْحبيل بن عامر- وكان له صحبه- فأخبره بأنه يأمر بالآذان من نصف الليل إلىٰ قرب الفجر، وعند الآذان لا تدق النواقيس، فأمر مسلمة بن مخلد بعدم ضرب النواقيس وقت الآذان [1]. وهنا نلحظ مدىٰ الحرية الكاملة في دق النواقيس، وفي الوقت نفسه كان هذا يحدث ليلا أيضا قبل أن يكون نهارًا.

وما حفلت به بعض النصوص الفقهية من النهي عن بناء الكنائس [2]، لم يكن لها وجود علىٰ أرض الواقع [3].

ثانيا: الحريات الاقتصادية والاجتماعية:

تمتع غير المسلمين بما تمتع به المسلمون من حريات اقتصادية واجتماعية، أسهمت في مزيدٍ من المشاركة في الحقوق والواجبات، وتحقق الاختلاط والامتزاج والتعاون، ومن ثم التعايش السلمي.

أ- حق تولي وظائف الدولة والعمل والكسب:

حظي غير المسلمين بمصر زمن الأمويين بحق تولي وظائف الدولة كالمسلمين، إلاّ ما اتسم- بطبيعة الحال- بالصبغة الدينية، المقصورة علىٰ أصحاب كل دين. وتشير المصادر إلىٰ تولي بعض النصارىٰ لبعض الوظائف المهمة، ومنها: حكم الإسكندرية والبحيرة ومريوط زمن معاوية، وتولىٰ ذلك تاوضروس الملكاني [4]. كما

---

(١) المقريزي: السابق ٢/ ٢٦٩.

(٢) راجع الطبري: تاريخ الطبري ٦/ ٥٧٢. وابن عبد ربه: العقد الفريد ٤/ ٤٣٦.

(٣) عن آراء الفقهاء المتصلة ببناء الكنائس في البلاد الإسلامية راجع نمر الخليل: أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي ١٢٧- ١٣٣، ود. يوسف القرضاوي: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ٢٠- ٣١. وذكر أن الأمر يعود إلىٰ إمام المسلمين بناءً علىٰ المصلحة، وهو ما جرىٰ عليه العمل في تاريخ المسلمين.

(٤) ساويرس: تاريخ البطاركة ٩، ١٩، ٢١. وراجع اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٣٢.

أن بطرس تولىٰ الصعيد في ولاية عبد العزيز بن مروان [١]، بينما في الفترة نفسها تولىٰ مريوط: تاوفانس [٢]. وتولىٰ أمر الإسكندرية في خلافة الوليد بن عبد الملك مسيحي اسمه تادرس [٣] جاء اسمه في «تاريخ البطاركة» [٤].

أما عن الكُتاب المسيحيين بمصر وغيرها [٥] زمن الأمويين، فكثيرون للغاية منهم بالإسكندرية: انسطاسيوس [٦]. ومنهم بالفسطاط الأرثوذكس: أثناس الذي وُصف هو وأبو إسحاق كاتب آخر مثله لعبد العزيز بن مروان بأنهما مأمونان، من خير الأرثوذكس، جعلهما الأمير علىٰ جميع «كورة مصر» [٧]. ومعنىٰ هذا أن الشئون المالية في مصر كانت بيد هذين الأرثوذكسيين، ومر الحديث عن الغنىٰ الفاحش لاثناسيوس خاصة، وتملكه للضياع والأموال والعبيد، وقيامه ببناء بعض الكنائس. وكان أثناس (أثناسيوس) ينعت في المكاتبات الرسمية (بالكاتب الفخم)، وكان بديوانه عشرون كاتبا ثم بلغوا أكثر من أربعة وأربعين، وقيل: إن ما يتقاضاه بلغ ستين ألف دينار سنويًا[٨]. وفي أثناء ولاة قرة بن شُريك للوليد بن عبد الملك، اعتمد قُرة علىٰ كاتب أرثوذكسي في ديوان الخراج اسمه يونس «كان ذا أمرٍ ونهي» [٩].

ولا شك في أن الثقة في هؤلاء الموظفين المسيحيين كانت الأساس في اختيارهم لهذه الوظائف التي رفعت مكانتهم في المجتمع المصري آنذاك.

---

(١) ساويرس: السابق ١١٢.

(٢) ساويرس: السابق ١١٢.

(٣) عند ترتون: أهل الذمة في الإسلام صـ١٧ اسمه «تيودور».

(٤) ساويرس: تاريخ البطاركة ١٥٢.

(٥) راجع الجهشياري: الوزراء والكتّاب ٢٤، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٠، ٦٠.

(٦) ساويرس: السابق ١٥٣.

(٧) ساويرس: السابق ٣/ ٢٥.

(٨) ترتون: السابق ١٥.

(٩) ساويرس: السابق ١٢٤.

ومن الأعمال الخطيرة التي أسندت للمسيحيين أيضًا: العمل في الأسطول، والمشاركة في قتال أعداء الدولة، وهذا دليل التعايش السلمي، في أعلىٰ صوره، حيث شارك المسيحيون والمسلمون في صناعة الأسطول معا، وحيث اشتركوا معا في حماية شواطئ الدولة، وتأديب أعدائها، واعتمد عليهم في ذلك؛ أمانة وثقة.

وحفلت المصادر بالروايات المتعددة [1] التي تدل علىٰ عمل غير المسلمين في الأسطول بمصر لسبق خبرتهم في هذا الجانب، ولمهارتهم أيضا. بل إن الخليفة عبد الملك بن مروان كتب إلىٰ أخيه والي مصر عبد العزيز أن يوجه ألف قبطي إلىٰ معسكر المسلمين بتونس، بأهليهم وأولادهم، وأن يحملهم من مصر «ويحسن عونهم» لعمارة السفن بتونس، وأن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلىٰ آخر البصر، وأن يجعل علىٰ البربر جر الخشب لإنشاء المراكب [2].

وهذا النص المهم يكشف عن واقع عملي لتعايش ملموس بين المسلمين ومخالفيهم في العقيدة، حيث استعين بالقبط في صناعة أسطول الدولة، وكان هؤلاء صناعا، وهناك عمال غيرهم يحملون الخشب، كما أنهم لم يُحرموا من أهاليهم وأولادهم، وإن كانوا معهم، تهدأة للنفوس، وطمأنةً علىٰ الأهل والولد.

وقد اشتهر بعض المسلمين المتولين لرئاسة جميع صناع السطول بمصر، واسمه الريس عبد الرحيم بقدرته علىٰ صناعة دهان يمنع النيران عن السفن، وكان يجرب ذلك أمام الصناع المسيحيين والمسلمين، وغيرهم من غير الصناع من الفريقين معا [3].

أما عن الأخبار الدالة علىٰ مشاركة بعض المسيحيين في حرب الروم مع المسلمين، فمنها مشاركة بعض البحارة النصارىٰ في محاولة فتح القسطنطينية سنة

---

(١) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ١٦٤، ٣٧٧، ٥٥٩، ٥٦٢.

(٢) البكري: المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ٣٨- ٣٩.

(٣) ساويرس: تاريخ البطاركة ٢٧٧ وراجع ٤٤١.

٩٨هـ/ ٧١٦م [١]، وفي إحدىٰ البرديات القبطية أن البحارة المسيحيين كانوا يتسلمون أجورهم نبيذا، وهو المفضل عندهم[٢].

وهكذا انخرط كثير من الأقباط في سلك الجندية [٣]، وهو ما يمثل قمة التعايش السلمي بمصر خلال الفترة التاريخية، وبعدها.

وقد عمل القسم الأكبر من المسلمين والمسيحيين في تلك الفترة- بطبيعة الحال- في مجال الزراعة، وحدث إحصاء في ولاية الوليد بن رفاعة بمصر في خلافة هشام بن عبد الملك للقرىٰ، فأحصىٰ بالصعيد وغيره أكثر من عشرة آلاف قرية، أصغر قرية بها خمسمائة من المسيحيين [٤].

أما ما حدث من إبعاد للمسيحيين عن الدواوين وبعض الوظائف العامة بمصر وغيرها بعد تعريب الدواوين بها سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م [٥]، فإن حركة التعريب كانت ضرورية ما بدٌ منها لاستكمال مقومات الدولة وهويتها، ومع هذا، فإن من أجاد العربية من النصارىٰ بقوا في وظائفهم، فالغرض ليس إبعاد غير المسلمين عن وظائفهم، وإنما تعريب الدولة ودواوينها، ودليل ذلك أن كاتبا نصرانيا كان يكتب لسليمان بن عبد الملك، بعد قرار التعريب، وهو ابن بطريق [٦]. وأيضا كان بمصر زمن قُرّة بن شريك في خلافة الوليد بن عبد الملك- بعد التعريب- كاتب أرثوذكسي في ديوان الخراج، هو:

---

(١) أرشيبالد لويس: القوىٰ البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ١٠٤ وراجع محمد عبد الله عثمان: مواقف حاسمة من تاريخ الإسلام ٤٢.

(٢) د. زبيدة عطا: الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي ١٠١ وراجع ٩٨.

(٣) ترتون: أهل الذمة في الإسلام ٢١٦.

(٤) ابن الكندي: فضائل مصر ٣٧، والسيوطي: حسن المحاضرة ١/ ١٤٦- ١٤٧.

(٥) راجع في ذلك الكندي: ولاة مصر ٨٠. وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٠ وراجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ١٥٦، ١٦٧. وراجع المنبجي: تاريخ المنبجي ٨٠. وابن العبري: تاريخ مختصر الدول صـ ١١٣.

(٦) الجهشياري: الوزراء والكتّاب ٤٨.

يونس الذي وصف بأنه «كان ذا أمرٍ ونهي» [1]. وكان علىٰ ديوان حمص في خلافة هشام بن عبد الملك- بعد التعريب- نصراني هو: تاذي بن أسطين [2]. والاجراءات المأخوذة في هذا الجانب كانت وقتية، ولم تنفذ بالدقة المطلوبة، ولا بالصرامة التامة، فقد ظل القباط يشغلون كثيرا من المناصب في مصر زمن الأمويين، وظل رؤساء القرىٰ منهم، وفق أوراق البردي، وتوجد وثائق عربية ويونانية تعود إلىٰ القرن الثاني الهجري وبعده، تحمل كتابات قبطية [3].

وبالإضافة إلىٰ ما تقدم من وظائف ومهن للمسيحيين، فإن هناك إشارة تتصل بطبيب نصراني بمصر في أيام الوليد بن عبد الملك يدعىٰ «انوبيس» [4].

ب- حرية ممارسة العادات الاجتماعية:

مارس غير المسلمين عاداتهم الاجتماعية في مصر زمن الأمويين بكل حرية، من ذلك الاحتفال في الشوارع بتنصيب البطاركة [5]، وحمل الصلبان وإنشاد الترانيم في الطرقات في بعض المناسبات [6]. وإلزام المسيحيين بتعاليم الكنيسة فيما يتصل بالأحوال الاجتماعية لهم، وعدم مخالفتها أو الخروج عليها؛ دعما للحفاظ علىٰ عقائد وعادات غير المسلمين، مما يسهم في التعايش السلمي في المجتمع [7].

---

(١) ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٥.

(٢) الجهشياري: السابق ٦٠ وراجع ٦١.

(٣) د. سيدة كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة ١٤١- ١٤٢ وعبد العزيز بن مروان ١٦٠ وراجع هناك بعض أسماء الأقباط الموظفين بالدولة بعد قرار تعريب الدواوين.

(٤) ساويرس: تاريخ البطاركة ١٥٢.

(٥) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٢٦٥.

(٦) راجع ساويرس: السابق ٢٦٢، ٢٦٥.

(٧) راجع موقف الدولة الأموية بمصر من بعض العادات الاجتماعية للمسيحين بها لدىٰ راجع ساويرس: السابق ٧٤، وراجع أمثلة أخرىٰ عند ترتون: أهل الذمة في الإسلام ١٧٠.

أما ما حدث أحيانا من إلزام غير المسلمين بزي معين [1]، فإن هذه التعليمات مشكوك في أصلها من جهة، وفي زمن تبنيها من جهة أخرىٰ، وفي تطبيقها باستمرار من جهة ثالثة [2]، وقد كان هناك نهي في بعض الأحيان للمسلمين عن ارتداء البرانس السود في ولاية عبد الله بن عبد الملك بمصر [3]. فلا يوجد ما يعكر صفو التعايش السلمي في هذا الأمر، ولا يوجد اضطهاد في هذا الموضوع، وإنما هو وسيلة اجتماعية تنظيمية خاصة بكل طائفة بالمجتمع، وحدث مثلها كثيرا بعد هذا متصلاً بزي خاص للفقهاء القضاة، وآخر للتجار، وهكذا.

ثالثا: صور أخرى للتعايش السلمي بين الحكام والمسلمين وغير المسلمين :

كثرت النماذج الدالة علىٰ التعايش السلمي الذي قام بين الحلفاء والإدارة الأموية والمسلمين من جهة وبين غير المسلمين بمصر من جهة أخرىٰ. ومن ذلك ما يأتي:

أ- تعلم اللغة القبطية واستعمالها عند الحاجة:

كانت اللغة اليونانية لغة الدولة البيزنطية حتىٰ الفتح الإسلامي لمصر، وتراجعت اللغة القبطية تراجعا كبيرا، ولكن الفتح الإسلامي أعاد إلىٰ الوجود اللغة القبطية، وأصبحت اللغة اليونانية هي التي تُعَلّم بعد أن كانت سائدة [4]. وتعلمها بعض المسلمين، لا سيما القضاة، حتىٰ يقضوا بين المسيحيين بها، وممن تعلمها: القاضي

---

(١) أبو يوسف: الخراج ٢٧٩، وأبو عبيد: الأموال ٦٧.

(٢) راجع ذلك بالتفصيل عز الدين جسوس: سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية وموقفه تجاه أهل الذمة، بحث بمجلة الاجتهاد، عدد ٢٨ صـ ٤٠ – ٤٧ . وراجع د. سيدة كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة ٤٠ – ٤٩ . وراجع ترتون: السابق ١٢٧ – ١٤١ .

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور جـ ١ قسم ١ صـ ١٢٥ .

(٤) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٤/ ١٨٥ .

خير بن نعيم (١٣٧هـ/ ٧٥٤م) قاضي مصر، وقضىٰ بها بين الأقباط [١]. واستمر قضاة مصر علىٰ تعلمهم للغة القبطية، وعلىٰ فهمها، ومعرفة مراد المتكلمين بها [٢]. فكما أن الإسلام لم يفرض علىٰ أحد، لم تفرض لغته أيضا علىٰ أحد، ولما زار مصر الخليفة العباسي المأمون سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م «كان لا يمشي أبدا إلا والتراجمة بين يديه من كل جنس» [٣]. ويذكر الرحالة المقدسي (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) عن لغة أهل مصر: «لغتهم عربية، غير أنها ركيكة رخوة، وذمتهم يتحدثون بالقبطية» [٤]. وقد كان للأصبغ ابن عبد العزيز بن مروان والي مصر شماس يُدعىٰ بنيامين، يحبه كثيرا، ويترجم له عن القبطية وغيرها، وترجم له الإنجيل وكتب الكيمياء [٥].

ب- إقرار العدالة والإنصاف:

من أسس التعايش السلمي تطبيق العدالة بين الناس جميعا، وهو ما حدث- في الأعم الأغلب- من الإدارة الأموية بمصر، وتمّ بالفعل من القضاة. ومن ذلك أن ناسا من اليهود خاصموا قاضيهما علىٰ مصر القاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن حُجيرة سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م إلىٰ عمر بن عبد العزيز في مال قبضه منهم، فأقر القاضي عند عمر بن عبد العزيز، أنه قبضه منهم ثم دفعه إليهم، فأمره عمر أن يأتيه ببينة علىٰ دفعه، وإلا فهو ضامن للمال، فأتىٰ بشهود، من بينهم والد المحدث عبد الله بن لهيعة[٦].

وقد اشتهر قاضي مصر خير بن نعيم (ت١٣٧هـ/ ٧٥٤م) بالعدالة المطلقة في أحكامه سواء بين المسلمين وبعضهم، أو بين المسيحيين وبعضهم، وكان يقبل شهادة

---

(١) المقريزي: المقفي٣/ ٨٣٩.

(٢) ساويرس: السابق ٤/ ٢٧٢.

(٣) المقريزي: الخطط ١/ ٨٠. وراجع المقفىٰ: السابق ٤/ ٢٨٧- ٢٨٨. وقد التقىٰ المقريزي بمصر بامرأة قبطية في غاية الثراء، ومنتهىٰ الغنىٰ، وترجم كلامها للمأمون.

(٤) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٢٠٣.

(٥) ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ١١٠.

(٦) الكندي: الولاة والقضاة ٣٣٢- ٣٣٣.

النصراني علىٰ النصراني، واليهودي علىٰ اليهودي «ويسأل عن عدالتهم في أهل دينهم» [1]. وكان يدخل إليه الخصمان يتخاصمان بالقبطية، «ويرد عليهما بها، ويشهد عنده الشهود بالقبطية، فيسمع منهما ويحكم بها» [2]. وكان يقضي بين المسلمين في المسجد، ثم يجلس علىٰ باب المسجد بعد العصر علىٰ المعاريج- مكان مرتفع- فيقضي بين النصارىٰ ، وكان له مجلس يشرف علىٰ الطريق علىٰ باب داره، فكان يجلس فيه يسمع ما يجري بين الخصوم من الكلام [3].

وقد مرّ حكم القاضي المسلم أبو الحسن بين اليعاقبة الأقباط، والملكانيين، حول بيعة أبي مينا بمريوط، وكان الحق مع اليعاقبة [4]. كما مر حكم هشام بن عبد الملك وإدارته العدل بين اليعاقبة والملكانية أيضا، ورد كنائس الملكانية إليهم [5].

وفي الأعم الأغلب- كما سبق- لم ترض الدولة الأموية علىٰ أي ظالم لمسلم أو مسيحي بمصر، وعزلت كل هؤلاء الظلمة [6] .

ج- العلاقة الطيبة بين البطاركة وغيرهم وبين المسلمين:

نشأت علاقات حسنة بين البطاركة والمسلمين، تمثلت في أمانتهم [7]، وإظهار مودتهم [8]. وكان الأساقفة يجتمعون مع المسلمين في بعض المناسبات، لسماع بعض

---

(١) الكندي: السابق ٣٥١، والمقريزي: المقفي٣/ ٨٤٠.

(٢) المقريزي: السابق ٣/ ٨٣٩.

(٣) الكندي: الولاة والقضاة ٣٥١ وراجع من صـ ٣٤٨- ٣٥٢، والمقريزي: المقفي٣/ ٨٤٠. وراجع من صـ ٨٣٤.

(٤) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢٧٧- ٣٠٨.

(٥) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٢٤٤، ٢٨٦. وسعيد بن البطريق: التاريخ المجموع ٤٥- ٤٦.

(٦) راجع أيضا بالإضافة إلىٰ ما سبق وكيع: أخبار القضاة ٣/ ٢٢٩.

(٧) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٠٤، ٣١٥.

(٨) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣١٥.

الأخبار ومعرفتها، ومنها عند موت ملوك الروم [1]. هذا فضلا عن المعاملة اليومية من البيع والشراء، وقد سبقت الإشارة إلىٰ شراء التجار المسلمين للمحاصيل الزراعية من أحد أديرة الفيوم [2]. كذلك لم يرضىٰ غير المسلمين علىٰ ما وقع لأحد الصبية المسلمين من تعذيب أدىٰ إلىٰ قتل علىٰ يد شماس ساحر [3].

ومجمل القول أنه قد حدث تعايش سلمي قام علىٰ أسس متينة بين المسيحيين وغيرهم من مسلمين: حكاما ومحكومين بمصر زمن الحكم الأموي، وأن بعض البلاء قد نزل بالفريقين معا [4]، وان السمة العامة التعايش مع جنس «الإسماعيليين» المسلمين [5]. وقد ضرب الأمويون أمثلة لا حصر لها علىٰ احترام الآخر، وقبول شعائره وعاداته، ومنها أن الشاعر النصراني الأخطل [6] كان يدخل علىٰ عبد الملك بن مروان وعليه جُبة خز، وحرز خزّ (في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب) [7].

إنّ التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم فرض عينٍ عليهم، وعلىٰ غيرهم، لا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الكل. ويكفي أن أدلل هنا بتقديم المسلمين للعون المادي للرهبان الفقراء [8] دليل حسن عشرة، وصفاء، وتعايش طيب.

(١) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٧٥.
(٢) راجع ساويرس: تاريخ البطاركة ٣/ ٢١٨.
(٣) راجع ساويرس: السابق ٢٢٨- ٢٣٤.
(٤) راجع ساويرس: السابق ٣/ ١٢٣. وراجع نموذجا آخر عند الطبري: تاريخ الطبري ٦/ ٥٥٩.
(٥) راجع ساويرس: السابق ٣/ ٣٧٤.
(٦) عنه راجع الأصبهاني: الأغاني ٨/ ٢٨٠- ٣٢٠.
(٧) الأصبهاني: السابق ٨/ ٢٩٩.
(٨) أبو عبيد: الأموال ٧٢٩.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- ابن الأثير (ت٦٣٠هـ):

١- الكامل في التاريخ. دار صادر . بيروت.

- الأصفهاني (أبو الفرج):

٢- الأغاني. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. تحقيق عبد السلام هارون.

- ابن إياس (ت ٩٣٠هـ):

٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق محمد مصطفىٰ. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- ابن البطريق (ت ٣٢٨هـ):

٤- التاريخ المجموع علىٰ التحقيق والتصديق. بيروت ١٩٠٩م.

- البكري (ت ٤٨٧هـ):

٥- المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. مكتبة المثنىٰ. بغداد.

- البلاذري (ت ٢٧٩هـ):

٦- فتوح البلدان. دار الكتب العلمية. بيروت

- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ):

٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب العلمية. بيروت.

- ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ):

٨- الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول. تحقيق محمد محيىٰ الدين عبد الحميد. سنة ١٤٠٠هـ.

- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ):

٩- المنتظم في تاريخ الملوك. دار الكتب العلمية. بيروت.

- الجهشياري (ت ٣٠٠هـ):

١٠- الوزراء والكتّاب. تحقيق مصطفيالسقا وزميله. طبعة مصطفيالبابي الحلبي.

- الذهبي (ت ٧٤٨هـ):

١١- سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة .

١٢- دول الإسلام. تحقيق فهيم شلتوت.
- ابن زولاق (ت٣٨٧هـ):
١٣- فضائل مصر وأخبارها. تحقيق د. علي محمد علي. مكتبة الأسرة.
١٤- أخبار سيبويه المصري. تحقيق محمد إبراهيم سعد. مكتبة الأبحاث العلمية.
- ساويرس بن المقفع:
١٤- تاريخ البطاركة. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- السيوطي (ت٩١١هـ):
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. تحقيق محمد أبو الفضل. دار ١٥- أحياء الكتب العلمية.
- الطبري (ت٣١٠هـ):
١٦- تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل. دار المعارف.
- ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ):
١٧- فتوح مصر وأخبارها. تحقيق محمد صبيح. مؤسسة التعاون.
- ابن عبد الحكم (ت٢٦٨هـ):
١٨- الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز. تحقيق أحمد عبيد. دار الفضيلة.
- ابن عبد ربه (ت ٣٢٧هـ):
١٩- العقد الفريد. لجنة التأليف والترجمة.
- ابن العبري (ت ٦٨٥هـ):
٢٠- تاريخ مختصر الدول. بيروت.
- أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ):
٢١- الأموال. تحقيق الشيخ محمد هراس. دار الفكر.
- ابن العميد (ت ٦٧٢هـ):
٢٢- تاريخ المسلمين. تحقيق د. علي بكر. دار العواصم.
- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ):
٢٣- البداية والنهاية. دار الغد العربي.

- الكندي (ت ٣٥٠هـ):

٢٤- ولاة مصر. تحقيق د. حسين نصار. دار صادر.

- ابن الكندي (ت في ق ٤هـ):

٢٥- فضائل مصر المحروسة. الهيئة المصرية للكتاب.

- المقدسي (ت ٣٨٠هـ):

٢٦- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. دار صادر.

- المقريزي (ت ٨٤٥هـ):

٢٧- الخطط. طبعة بولاق.

٢٨ - المقفيالكبير. تحقيق محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي.

- المنبجي (ت في ق ٤هـ):

٢٩- المنتخب من تاريخ المنبجي. تحقيق د. عبد السلام تدمري. بيروت.

- وكيع (ت ٣٠٦هـ):

٣٠- أخبار القضاة. عالم الكتب.

- ياقوت (ت ٦٢٩هـ):

٣١- معجم البلدان. دار صادر.

- يحيىٰ بن آدم (ت ٢٠٣هـ):

٣٢- الخراج. تحقيق الشيخ أحمد شاكر. دار التراث.

- يوحنا النقيوسي (معاصر للفتح الإسلامي):

٣٣- تاريخ مصر. تحقيق د. عمر صابر عبد الجليل. عين للدراسات والبحوث.

- اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ):

٣٤- تاريخ اليعقوبي. دار صادر.

- أبو يوسف (ت ١٨٢هـ):

٣٥- الخراج. تحقيق د. إحسان عباس. دار الشرق.

ثانيا: المراجع:

* أرشيبالد لويس:

٣٦- القوىٰ البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط. ترجمة أحمد عيسىٰ. النهضة المصرية.

* أرنولد:

٣٧- الدعوة إلىٰ الإسلام. ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين. النهضة المصرية.

* دانييل ساهاس:

٣٨- الشخصية العربية في الجدال المسيحي مع الإسلام. بحث بمجلة الاجتهاد، عدد ٢٨. طبعة بيروت.

* ديورانيت:

٣٩- قصة الحضارة. ترجمة محمد بدران. عصر الإيمان جت٢ المجلد الرابع .

* د. زبيدة عطا:

٤٠- الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي. الهيئة المصرية للكتاب.

* د. سيدة كاشف:

٤١- الوليد بن عبد الملك. سلسلة أعلام العرب.

٤٢- عبد العزيز بن مروان. الهيئة المصرية للكتاب.

٤٣- مصر الإسلامية وأهل الذمة . الهيئة المصرية للكتاب.

٤٤- مصر في عصر الولاة. الهيئة المصرية للكتاب.

٤٥- مصر في فجر الإسلام. الهيئة المصرية للكتاب.

* عز الدين جسوس:

٤٦- سياسة عمر بن عبد العزيز الخارجية وموقفه من أهل الذمة. بحث بمجلة الاجتهاد. عدد ٢٨. بيروت.

* غوستاف لوبون:

٤٧- حضارة العرب. ترجمة عادل زعيتر. مكتبة الأسرة.

* د. فتحي عثمان:
٤٨- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري. دار الكتاب العربي.
* كلود كاهن:
٤٩- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية. دار الحقيقة. بيروت.
* محمد رمزي:
٥٠- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية. الهيئة المصرية للكتاب.
* د. محمد ضياء الدين الريس:
٥١- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية. دار التراث.
* د. يوسف القرضاوي:
٥٢- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي. مكتبة وهبة.